موارد بشرية متعدّدة المزايا

المقدّمة

تستند قوّة الولايات المتّحدة الأمريكيّة إلى قاعدة سكّانية عريضة تغذّيها أدفاق هجرية متتالية أسهمت في إثراء الرّصيد البشري وأفرزت مجتمعا يتّسم بتنوّع الأجناس والثّقافات ويتمتّع بمزايا متعدّدة.

I – رصيد بشري ثريّ تغذّيه الهجرة الوافدة

تأ وي الولايات المتحدة الأ مريكية تجمّ عا بشريا كبيرا مازال يحتفظ بحيويّته الدّ يمغرافية بفضل هجرة وافدة لم تنقطع أدفاقها منذ أكثر من أربعة قرون.

1 – بلد عمّره المهاجرون

ينحدر الأ مريكيون من مهاجرين توافدوا عبر مراحل متتالية تغيّرت خلالها أ صولهم الجغرافية وأمّنوا للبلاد حيويّة ديمغرافيّة مستمرّة.

أ– هجرة وافدة منتظمة

لم يتجاوز عدد السكّ ان عند اكتشاف البلاد في القرن السّ ادس عشر مليون ساكن وارتفع إلى 4 ملايين سنة 1776 عند إ علان الاستقلال. ومنذ ذلك التاريخ، تضاعف عدد السكّان 77 مرّة مسجّلا زيادة لم يشهدها أيّ بلد آخر في العالم أسهمت فيها الهجرة الوافدة إسهاما مباشرا. ولئن اتّسمت الموجات الهجرية بالانتظام، فإنها نشطت بقوّة في أواخر القرن التّ اسع عشر وبداية القرن العشرين إ ذ استقبلت الولايات المتحدة أكثر من 20 مليون مهاجر بين 1871 و1910 ليرتفع عدد سكّانها إلى 92 مليون نسمة [1 و2]. وقد سجل نسق هذه الهجرة تراجعا في فترة ما بين الحربين ارتبط بصدور قوانين تحديد الهجرة وتصنيفها وأ زمة الثلاثينات الاقتصادية، ثم عاد إ لى الارتفاع بعد الحرب العالمية الثانية. فقد ناهز عدد الوافدين 28 مليون بين 1950 و2005 وتجاوز 10 ملايين خلال العشريتين الأخيرتين وبذلك تظلّ الولايات المتحدة الأمريكية أكبر قطب جاذب للمهاجرين في العالم.

ب– هجرة وافدة متنوعة المصادر

اتّ سمت الموجات الهجرية الأ ولى بغلبة العناصر الانغلوسكسونية والاسكندينافية التي بادرت بتعمير المجال الأمريكي وجلبت العبيد الأفارقة لإحياء مناطقه الجنوبيّة. ومنذ أواخر القرن التّاسع عشر أصبحت الهجرة الوافدة تتميّز بالتنوّع العرقي والدّ ييني مع تنامي الأ دفاق القادمة من أوروبا المتوسّطية والشرقية ومن أمريكا اللاّ تينية. ولم يحُل تطبيق نظام الحصص وإخضاع الهجرة لمقاييس جديدة كالجنسيّة والتأهيل المهني والكفاءة العلمية دون تدفّق أفواج الوافدين من القارّة الأ سيوية ومن أمريكا اللاّ تينية منذ منتصف القرن الماضي فأ ضحوا يشكّلون قرابة 80 % من إجمالي عدد المهاجرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية [3] وفي الأثناء، نمت الهجرة الخفيّة غير القانونية من المكسيك خصوصا رغم تشديد المراقبة على الحدود الجنوبية للبلاد. وهكذا تعدّ الولايات المتّحدة أكثر الدّول المتقدّمة انفتاحا على الهجرة الوافدة لما لها من فوائد اقتصادية وديمغرافيّة.

ج– حيويّة ديمغرافيّة متواصلة

لئن أ سهمت الهجرة الوافدة في تعمير البلاد والزيادة في عدد سكّانها فإنّها أمّ نت للولايات المتحدة حيويّة ديمغرافيّة متواصلة [4] تميّزها عن بقية أقطاب الثالوث. ذلك أ ن دورها لا يقتصر على تزويد البلاد بأكثر من مليون نسمة سنويا والإ سهام المباشر بأ كثر من 40 % في النموّ الدّ يمغرافي بل إنها تحدّ من تراجع مؤ شر الخصوبة وتمكّن المجتمع الأمريكي من الاحتفاظ بمستوى مرتفع نسبيّا للولادات بفضل السّلوك الإنجابي للأقليات العرقيّة والمهاجرين الآسيويين والأمريكيين اللاّتينين. وقد ضمنت الولايات المتحدة الأمريكية بذلك نموّا طبيعيّا لا تقلّ نسبته عن 0,5%سنويّا يُبطئ نزعة التهرّ م ويحول دون تناقص عدد السكّان الذي يميّز بعض أقطار الاتحاد الأوروبي واليابان وهو ما يمنح المجتمع الأمريكي فتوّة أكبر وقدرة أعلى على التجديد والابتكار.

2 – قوّة عمل تجمع بين الوفرة والكفاءة

تسهم الحيويّة الدّيمغرافيّة التي تميّز المجتمع الأمريكي في توفير قوّة عمل تجمع مزايا متعدّدة.

أ- يد عاملة وفيرة

تؤمّ ن البنية العمرية للسكان القسط الأ كبر من حاجات الاقتصاد الأ مريكي من اليد العاملة [5] بفضل ارتفاع نسبة النشيطين ونموّ ها بنسق حثيث إذ توفّ ر لسوق الشغل ما يزيد عن 155 مليون نشيط. كما توفّ ر الهجرة الوافدة بكلّ أصنافها قوّة عمل إضافية شبه مجانية لم تتحمّل الولايات المتحدة نفقات تكوينها مثل هجرة الصّينيين والمكسيكيين خصوصا، القانونية منها وغير القانونية، التي تزوّد البلاد سنويا بأعداد كبيرة من العاملين ينتشرون في ولايات الغرب والجنوب فضلا عن العاملين في "المدن التوائم" وفي صناعات الماكيلادوراس على طول الحدود الأمريكية المكسيكية.

ب- يد عاملة ذات مؤهّلات متنوّعة

يحظى الاقتصاد الأمريكي بقوّة عمل تتمتّ ع بمستوى تعليمي جيّد يؤمّ نه نظام تربويّ متطوّ ر. ويستوعب التعليم العالي 17,5 مليون طالب تسهر على تكوينهم جامعات تعدّ الأ فضل في العالم على غرار هارفارد [6] وستانفورد وماساشوستس وتتخرّ ج منها نخبة من العلماء والمهندسين والباحثين المتفوّ قين. كما تستقطب الجامعات الأمريكية الطلبة المتميّ زين من كلّ أ نحاء العالم. وتتدعم هذه الكفاءات المحلّ ية بهجرة الأ دمغة التي تشمل كفاءات من بلدان الجنوب والبلدان المتقدمة على حدّ السّواء، فتمدّ البلاد بالعلماء والأدباء والفنّ يين وتسهم بنسبة كبيرة في دفع حركة المقاولة والتجديد لاسيما في ميادين التكنولوجيا العالية إ حدى ركائز القوّة الإنتاجية والتفوّق الأ مريكي [7]. كما تغذّ ي الهجرة الوافدة الأسيوية والمكسيكية بالخصوص سوق الشغل بيد عاملة محدودة التأهيل لكنّ ها زهيدة الكلفة تستفيد منها المؤسّسات الاقتصادية لدعم قدرتها التنافسية.

II - تنوّع عرقيّ مفيد وديناميّة اجتماعية مميّزة

أفضى تنوّع الموجات الهجرية المتدفّقة على الولايات المتحدة الأمريكيّة إلى نشأة مجتمع متعدّد الأعراق والثقافات يتميّز سكّانه بحرّكية اجتماعية فائقة وتحرّكية مجالية نشيطة تدعم القوّة الاقتصادية.

1 – تنوّع عرقي مفيد

أ فرزت الهجرة الوافدة مجتمعا متعدّد الأ عراق يبدي قدرة كبيرة على استيعاب المهاجرين على اختلاف أجناسهم والاستفادة من مؤهّلاتهم [8]. فقد انضاف إ لى السكان الأ صليين من الهنود الأ مريكيين، البيض الأ وربيون والسّود الأفارقة والأ سيويون وذوو الأ صل الاسباني، وكان لكلّ مجموعة عرقيّة إ سهامها في تعمير البلاد وإحيائها وإرساء قوّتها. فلئن بادر المهاجرون البيض الأوائل بجلب التقنيات ورؤوس الأموال من أوروبا فإن الزنوج الأفارقة وفّروا اليد العاملة الضرورية لمزارع القطن والتبغ في الجنوب القديم. وبينما أ سهم المهاجرون المكسيكيون وما زالوا في تنمية أ قاليم حزام الشمس فإنّ الآ سيويين برزوا في بعث المؤسّسات الاقتصادية [9]. وعلاوة على ذلك فإنّ اختلاط هذه المجموعات العرقية المتنوّعة المتشبّثة بقيمها وثقافاتها الأصلية يُثري الحضارة الأمريكية ويُيسّر التّعامل مع الخارج في مختلف الميادين الاقتصادية والسّ ياسية والعلمية كما يساعد على انتشار الثقافة الأمريكية وإ شاعة نمط العيش الأمريكي في العالم [10]. وما فتئ التنوّع العرقي يزداد عمقا مع تواصل انفتاح البلاد والتحاق مجوعات بشرية جديدة يفضي نموّها إلى تقلص الوزن الدّيمغرافي للبيض الأمريكيين وتنامي مكانة الأقليات خاصّة من ذوي الأصل الاسباني. ولئن انخرطت أغلب المجموعات العرقية في نمط العيش الأمريكي، فإنّها لم تنصهر في "بوتقة احدة" [18] بل تنزع إلى العيش المنفصل وتطالب بحقوق أكبر ممّا يثير جدلا سياسيا واسعا في أوساط الفئة المهيمنة من البيض الانغلوسكسونيين.

2 – ديناميّة اجتماعية مميّزة

تمثل التحركية الاجتماعية والمجالية عاملا مهمّا من عوامل التفوق الاقتصادي الأمريكي.

تستند حيوية المجتمع الأ مريكي إ لى روح ريادية راسخة تستحثّ الأمريكيّ ين على على المبادرة الفرديّة والتنافس وتدفعهم إلى المجازفة من أجل الإ ثراء والارتقاء الاجتماعي، وهي من المبادئ الأساسية لنمط العيش الأمريكي القائم على الحرية والملكية الخاصّ ة والمصلحة الفردية وتكافؤ الفرص. وتنسجم هذه المبادئ مع الليبرالية السياسية والاقتصادية التي يتعلّ ق بها الأ مريكيون [11]. وعموما، لا يتردّ د الأ مريكيون في توظيف مدّ خراتهم المالية في البورصة وشراء أسهم الشركات أو بعث مؤسّسات جديدة، ولا يتوانوا في قبول العمل لبعض الوقت أو العمل عن بعد، كما لا يتردّدون في تغيير أنشطتهم وقطع آلاف الكيلومترات بحثا عن فرص النجاح المهني.

وتتأ كد نزعة التنقّل بين الأ قاليم وبين المدن من خلال ارتفاع **نسبة التحرّكية المجاليّة** * التي تقارب 14 % وهي

تعادل ضعف مثيلتها في الاتحاد الأوروبي. وتولّد هذه التحرّكية المجالية أدفاقا هجرية داخلية [12] تواكب التحوّلات الاقتصادية للأقاليم، فتوجّه اليد العاملة والفنّيين والعلماء والمبادرين في صناعات التكنولوجيا العالية من الشمال الشرقي الذي بلغ درجة التشبّع نحو ولايات حزام الشمس التي تتّسم بسرعة نموّ الاستثمار وكثرة فرص الشغل فضلا عن دفء المناخ. وبذلك تسهم التحركيّة المجالية في الحدّ من أزمة الشمال الشرقي وفي توفير الطاقات البشرية الضرورية لدفع اقتصاد الأقاليم الجنوبية والغربية التي أصبحت من أنشط الأقاليم الدّاعمة للقوّة الأمريكية [13].

III - سوق داخلية ضخمة تدعم القوة الإنتاجية

تحظى الولايات المتحدة بسوق داخلية ضخمة تنمو بصفة مستمرّة وتستند إلى مستوى دخل عال ونمط عيش محفّز للاستهلاك.

1- أكبر مجتمع استهلاكيّ في العالم

بلغ المجتمع الأمريكي منذ الحرب العالمية الثانية طور الاستهلاك الجماهيري العريض. وتسجّل الولايات المتحدة معدّلات قياسية في الاستهلاك الفردي لعديد المنتجات وتجهيزات الرفاهة والثقافة [14]. ويجسّد تطوّر الإنفاق الفردي في خدمات الإعلام والاتصال انخراط الأمريكيين في مجتمع الإعلام وتنامي استهلاكهم لخدمات الانترنت. كما تتجلّى نزعة الاستهلاك المكثّف في ارتفاع حصّة ما يخصّصه الأمريكيون من دخلهم للاستهلاك على حساب الادخار العائلي [15]. ورغم ضخامة الإنتاج تلجأ البلاد إلى الاستيراد لتلبية حاجات الأمريكيين المتزايدة حتّى أصبح ازدهار اقتصاد كثير من البلدان رهين ما تستوعبه السّوق الأمريكية من سلع وخدمات.

2- دخل عال ونمط عيش محفّزان للاستهلاك

ترتكز السّوق الدّاخلية على قوّة بشريّة تعدّ 308 مليون ساكن يتمتّعون بمعدل دخل فردي سنوي مرتفع تضاعفت قيمته ستّ مرّات منذ 1975 وهو يفوق بكثير معدّل الدّخل الفردي بأقطار الاتحاد الأوروبي الأكثر تقدّما مثل ألمانيا والمملكة المتحدة وفرنسا [15]. وقد ترتّب عن ارتفاع الدّخل تحسّن مستمرّ في مستوى عيش الأمريكيين عموما بما يسمح لهم بالإقبال بقوّة على استهلاك مختلف أصناف السلع والخدمات.

كما ترتبط ضخامة الاستهلاك بنمط العيش الأمريكي القائم على ضرورة امتلاك البيت الفرديّ والسيّارة الخاصّة وتجهيزات الرّفاهة. وتحفّز الاستهلاك سياسة إقراض نشيطة تموّ لها البنوك التجارية ومنظومة إشهار متطوّرة قادرة على توليد حاجات متجدّدة من ترفيه وسياحة وإعلام. وقد عززت التجارة الالكترونية التي حقّقت قيمتها نموّا تجاوز 23% بين سنتي 2005 و 2006 النزعة الاستهلاكية لدى الأمريكيين [16].

كما يدعم التحضّر الكثيف هذه النزعة الاستهلاكية، إذ يتّسم المجتمع الأمريكي بدرجة تحضّر عالية تفوق نسبتها 90 % في ولاية كاليفورنيا وكلّ ولايات الشمال الشرقي، وأصبح الأمريكيون حضرا بصفة شبه كلّية في نمط عيشهم يقيمون في مدن كبرى ومناطق حضرية متّسعة تمثّل ركيزة مجتمع الاستهلاك. وتسهم التحوّلات الحديثة التي تشهدها المدن الأمريكية ولاسيما انتقال بعض المؤسّسات الاقتصادية والمراكز التجارية الكبرى [17] وأغلب الفئات الميسورة من وسط المدينة إلى الضواحي الممتدّة في تزايد الإقبال على السيارة الخاصّة واستهلاك مختلف الخدمات الموجّهة للعائلات.

ولئن توفّرت للولايات المتحدة سوق استهلاكية ضخمة، فإنّ فوارق الدّخل وتفشّي ظاهرة البطالة والفقر لاسيما في صفوف الأقليات [18] تحدّ من توسّعها وتؤدّي إلى تفاقم مشاكل المجتمع الأمريكي.

الخاتمة

تتمتّع الولايات المتحدة الأمريكية بموارد بشرية غنيّة تجمع مزايا كمية ونوعية وظفتها بنجاعة لإرساء قوّتها الاقتصادية وتدعيم مكانتها العالمية في إطار نظام رأسمالي متجدّد.